

خطاب جلالة الملك

في اجتماع رؤساء واعضاء المجالس العلمية بالمغرب

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

علماءنا الأفاضل

قبل ان نلقي فيكم الحديث الذي نريد ان نتوجه به إليكم، نأمر مستشارنا في الديوان الملكي الأستاذ أحمد بنسودة بالقاء البيان التشريعي وأسباب النزول التشريعية التي حدت بنا إلى وضع نص الظهير الشريف الذي سيكون فيما بعد موضوع مناقشتكم مع كل الوزراء الحاضرين.

(وامر جلالة الملك الحسن الثاني الأستاذ أحمد بنسودة مستشار جلالته بتلاوة مقدمة الظهير المذكور

وهكذا ترون حضرات العلماء الدوافع الدينية والدنيوية، والأسباب التشريعية التي دفعتنا إلى إعطاء المجالس العلمية لمملكتنا المغربية، من شمالها إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها، روحا جديدة تتلاءم مع النضال، وأقول النضال، مع النضال اليومي الذي يجب على ناشئتنا مغربية كانت أوغير مغربية، ان تخوضه يوميا باستمرار وجدية وعمق وافتخار واعتزاز، ذلك انني احض دائما واحث الأساتذة على ان يكثروا من تعليم التاريخ في المدارس، لأن كل مغربي مغربي عرف تاريخه، وعلمه يصبح مفتخرا ومعتزا بمغربيته، بعيدا كل البعد على الخيانة أو تسرب الشك إلى ذهنه في أصالة بلدنا وفي كونها حلقة ذهبية في سلسلة البشرية.

فاذا نحن ربينا ناشئتنا على معرفة دينها فانها تجد فيه شريعة ونظاما، شريعة سمحاء متفتحة، شريعة قابلة للتطور، شريعة تشمل البشرية في مدى زمنها وعلى جميع بساط اراضيها، تجد شريعة لم تترك شيئا الا ونصت عليه بل ان لم تنص عليه تركت باب الاجتهاد لذوي العلم، والثقافة والمعرفة، ونجد الشريعة يقول فيها النبي صلى الله عليه وسلم «ان الدين سمح، ولن يشاد أحدكم هذا الدين الا غلبه».

وحينما يرجعون إلى نظامهم، نظام الاسلام ــ الدين الاسلامي ــ يرون انه اذا تبجح البعض بالاشتراكية فانهم لا يجدون في أنفسهم أي مركب نقص لينتسبوا هم المسلمون إلى الاشتراكية الحقة.

اذا قام قائم وخطب في الناس واستعمل لفظ الجماهير أو لفظ النضال أو تلك الألفاظ التي نعتبرها مقصورة اما على غير المسلمين أو على المتفتحين من المسلمين تمكن لذلك الشاب المغربي المسلم ان يناضل وان ينازل وان يفسر وان يعتز كان في باريس في السوربون، او في انجلترا في كامبردج، او في المانيا في المعاهد العليا، أو في امريكا استطاع ان يقنع بعد ان يكون قد اقتنع واستطاع ان يصبح مناضلا، لاحق الاسلام فقط، بل



لحق البشرية كلها، لتعيش البشرية في حريتها وفي ديموقراطيتها.

وكنت اخيرا اقول لبعض المراقبين السياسيين الاوربيين في الأسابيع التي مضت سوف ترون ان العالم الغربي مسيحيا كان أم يهوديا بينه وبين الألحاد والماديات، سوف لا يجد الا قوة منظمة ستسهر على حريته وتأخذ بيده وتناضل معه لكرامة الانسان وحريته وهو الاسلام.

وهكذا رأينا حضرات العلماء ان الأسرة الفكرية الدينية الوحيدة في العالم التي تمكنت من ان تجتمع رغم العراقل ورغم التآمرات، ان تجتمع وان تصرح بالاجماع على ما يجب ان تصرح به هي الأسرة المسلمة، لا أقول الاسلامية، ذلك لأن هذا اللفظ في القاموس الأوربي اصبح مستهجنا في حق الاسلام، فأقول الاسرة المسلمة.

انكم حضرات العلماء، ولست ادري ولا أريد ان ادري، من هو المسؤول ؟ هل انتم، ام الادارة، ام السياسة، ام البرامج ؟ اصبحتم غائبين عن الميدان اليومي في المغرب، بل يمكنني ان أقول : انكم اصبحتم غرباء ذلك وليست من تلك الغربة التي يقال فيها : وطوبى للغرباء، فهذه الغربة نؤدي ثمنها جميعا، كنا اطفالا أو شبابا أو كهولا أو شيوخا نؤدي ثمنها لأنه اصبح الاسلام وتدريس الاسلام في الجامعات أو في المدارس الثانوية لا يعدو على ان يكون دروسا لتعليم نواقض الوضوء ومبطلات الصلاة.

فأين هو تحليل النظام الاقتصادي الاجتماعي والاشتراكي المحض الصرف الاسلامي ؟ اين هو تعليم وتلقين الطلبة والتلاميذ على ان الدين قبل كل شيء هو المعاملة ؟ ولا اعني بالمعاملة التحفة أو القضاء اعني بها حتى المعاملات الدولية، حتى معاملة الشورى في البرلمان، حتى معاملة السلطة مع الرعية، حتى معاملة الرعية مع الاقلية منها كانت نصرانية أو يهودية، بحيث ما من نقطة دستورية سياسية، اقتصادية، واجتماعية الا ونجد لها الجواب في الاسلام وحتى اذا لم نجد لها جوابا لا نجد بابا مغلقا امامنا للتشريع بما يطابق العقيدة والنظام.

فلي اليقين حضرات السادة، انكم ستنفخون بروح جديدة في وطننا العزيز علينا جميعا، ذلك ان الدروس التي سنخلقها من جديد تلك الكراسي التي هي كراسي العلم بدون النظر إلى التقاعد أو غير التقاعد، فالتقاعد يكون ربما فيما يخص الأعضاء لافيما يخص الفكر ولا الحفظ ولا اتقان التلقين، ستجدون في هذا المجال وسيلة لتعينوا حتى طلبتنا الذين هم في كلية الشريعة، وكلية اللغة العربية، وكلية الآداب، وكلية الحقوق الذين يريدون ان يطعموا ما تلقنوه من معلومات في كتب جديدة غصرية، بوسائل عصرية ان يطعموا معرفتهم وعلمهم بالأصول وبركائز تربيتنا وتثقيفنا ودوافع المشرع وسيرون دائما ان دوافع المشرع كانت دوافع اشتراكية وجماهيرية، لان المشرع الاسلامي لن يغلب الفرد على الجماعة كيفما كان قدره وكيفما كان شأنه، بل يغلب كفة الجماعة الصالحة على الفرد الضال.

في انتظار ان تكونوا لا اساتذة للعلم بل ان تكون كراسيكم اندية تلك الأندية التي ما حرمنا الله منها حينما كنا نتلقى العلم على مشايخنا، السي أقصبي رحمه الله، والسيد المدني بلحسني، والفقيه الشفشاوني، والسي الطايع بلحاج، والسي عبد الرحمان بن عبد النبي، ومولاي عبد الواحد العلوي وامثالهم، لقد كان لنا الحظ ان ادركنا أولئك الفطاحل وكانت دروسهم اندية، فكانوا يخلطون الأدب بالنحويات، واللغويات بالفقهيات، وكانوا لا يفرون من المذاكرة بل كانت دروسهم احاديث، بل كانوا في اكثر الأوقات يجعلون الطالب هو الذي يسأل لأنه يتمتع بما يلقونه من معرفة وعلوم، علينا ان نعلم مرة واحدة ان المجالس ليست مجالس وعظ وارشاد،



هذا هو المستوى الذي ادى ببعض الدول الاسلامية على انها ظنت قد خلقت وسيلة وروحا للدفاع، بل خلقت اوكارا للتشكك، فالوعظ والاشاد ليسا من مهماتكم.

عليكم ان تعلموا حضرات الأساتذة ان المغرب لا يمكن ان يعيش في التناقض، لا يمكنه ان يتفتح على العالم العصري وعلى مشاركة العالم العصري وعلى معايشة العالم العصري يوميا، بالسيارة بالهاتف والتلفزة، وان يعتقد انه سيعيش في قفص من زجاج يجعله في مأمن من الجراثيم المحيطة به، فلهذا عوضا من ان نأخذ بيد العامل مثلا في مدينة ما، ونوريه لافتة امام سينما فيها امرأة ربما بلباس السباحة، ونقول : هذا منكر ويصبح حقيقة دور العالم انه غائب لا يزيد على انه اصبح مقدما لحومة اللافتات، لا، ليس هكذا سنحارب المنكر، هذا شيء لابد منه اصبح في باب الفقهيات مما يشوب الماء الذي يصلح للوضوء.

حياتنا هي هذه، وهذا ما أراد الله، ولكن علينا ان نظهر للناس ان هذه المظاهر اصبحت اليوم من زينة الأرض، وحتى تعداد زينة الأرض في القرآن ليس تعداد حصر، ولكن يجب كيفما كانت الزينة ان نتخوف منها، وان لانتبعها، وان نستعيد بالله من الوقوع في شركها، في اخطارها.

انني اعتمد عليكم كل الاعتماد الشيوخ والكهول منكم، لانني سياسيا لا يمكنني ان ابني اي بناء اذا لم تكن التربية والأخلاق والمعاملات والفهم الحقيقي للاسلام وللنظام الاسلامي من جهة، والشريعة والدين الاسلامي كعبادة من جهة، لا يمكننا ابدا كيفما كان بناؤنا ان يبقى واقفا كالأمجاد الواقفة التي تطل على تاريخ المغرب والتي نجدها شامخة مفتخرة في كل مدينة أو عاصمة قديمة من عواصمنا المغربية.

وكما سترون في الظهير الذي ستتناقشون فيه بكل روح رياضية علما بأن الفرق وهذا هو فضل الاسلام، ان الفرق بين الدين والدنيا موجود، لا، الشيء الذي جعلنا نحن المسلمين نبقى دائما متمسكين بوحدتنا الاسلامية بالتضامن الاسلامي، هو اننا بقينا نعيش تحت أو في قميص واحد : فيه الدين وفيه الدنيا.

فاذن يجب ان تكون مناقشاتكم ليست مناقشة علماء أمام حكومة، فالحكومة علماء، والعلماء حكومة، لأن الدين والدنيا مختلطان، واليوم الذي تفرق فيه دولة اسلامية بين دينها ودنياها فلنصل عليها صلاة الجنازة مسبقا.

فقررنا اذن في هذا الظهير ان نثبت ونركز المجالس العلمية الموجودة وان ندعمها بادارة وصلاحيات تجعلها مخاطبا ومخاطبا للسلطة المحلية أو المركزية، كما اننا جعلنا في ظهيرنا امكان خلق مجالس علمية في كل اقليم كلما توفر ذلك الاقليم على الأطر الصالحة التي يمكنها ان تبلغ وتحسن التبليغ، وجعلنا على رأس هذا كله مجلسا علميا أعلى نترأسه شخصيا يجتمع على الأقل مرتين في السنة، ويجتمع باستدعائنا اذا نحن رأينا ان الضرورة تدعو إلى ذلك.

ومن جملة المجالس الاقليمية التي قررنا خلقها وهي ليست موجودة وهذا هو الغريب، المجلس العلمي للعدوتين الرباط وسلا، هذا المجلس ليس موجودا وقررنا ان نخلقه، وقررنا كذلك لما يتصف به من علم وحسن استعمال لعلمه، ان نجعل على رأسه الشيخ المكي الناصري الذي لنا اليقين بأنه سيكون في العدوتين وفي العاصمة بالخصوص لما يجب عليه ان يقوم به من عمل.

علماءنا المحترمين

اخترنا ان يكون اجتماعنا هذا يوم ثالث عيد المولد النبوي، وان يكون يوم الجمعة تيمنا منا بالمولد وبيوم الجمعة، فارجو الله سبحانه وتعالى ان يأتي بالنتيجة المنتظرة، ولي اليقين ان هذه الأوراق التي قرأها بنسودة



ستمكننا ان نجرب نيتنا كما عمل ذلك أبو زيد القيرواني، ولي اليقين اننا لو اخذناها ورمينا بها في اليم لوجدناها يابسة صالحة قادرة على ان تكون دستورا لليوم وللغد، وأقول دائما « ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا » فالله يعلم حسن نيتنا وعمق نيتنا وطهارة سريرتنا في عملنا هذا، فانه سبحانه وتعالى سيكون لنا خير مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بمراكش

الجمعة 14 ربيع الأول 1400 — 1 فبراير 1980